

## تفسير السعدي

@ 153 @ تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ) ^ يعني : أنه قدر ذلك الغم والمصيبة عليكم لكي تتوطن نفوسكم وتمرنوا على الصبر على المصيبات ويخف عليكم تحمل المشقات : ^ ( ثم أنزل عليكم من بعد الغم ) ^ الذي أصابكم ^ ( أمانة نعاسا يغشى طائفة منكم ) ^ | ولا شك أن هذا رحمة بهم وإحسان وتثبيت لقلوبهم وزيادة طمأنينة ؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس | وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم إلا إقامة دين الله ورضا الله ورسوله ومصلحة إخوانهم المسلمين | وأما الطائفة الأخرى الذين ^ ( قد أهتمهم أنفسهم ) ^ فليس لهم هم في غيرها لنفاقهم أو ضعف إيمانهم فلهذا لم يصبهم من النعاس ما أصاب غيرهم ^ ( يقولون هل لنا من الأمر شيء ) ^ وهذا استفهام إنكاري أي : ما لنا من الأمر - أي : النصر والظهور - شيء فأسأؤوا الظن بربهم وبدينه وبنبيه ووطنوا أن الله لا يتم أمر رسوله وأن هذه الهزيمة هي الفيصلة والقاضية على دين الله قال الله في جوابهم : ^ ( قل إن الأمر كله لله ) ^ الأمر يشمل الأمر القدري والأمر الشرعي فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره وعاقبتها النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته وإن جرى عليهم ما جرى | ^ ( يخفون ) ^ يعني المنافقين ^ ( في أنفسهم ما لا يبدون لك ) ^ ثم بين الأمر الذي يخفونه فقال : ^ ( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ) ^ أي : لو كان لنا في هذه الواقعة رأي : ومشورة ^ ( ما قتلنا هاهنا ) ^ وهذا إنكار منهم وتكذيب بقدر الله وتسفيه منهم لرأي : رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأي : أصحابه وتركية منهم لأنفسهم فرد الله عليهم بقوله : ^ ( قل لو كنتم في بيوتكم ) ^ التي هي أبعد شيء عن مظان القتل ^ ( لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ) ^ فالأسباب - وإن عظمت - إنما تنفع إذا لم يعارضها القدر والقضاء فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئاً بل لا بد أن يمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحياة ^ ( وليبتلي الله ما في صدوركم ) ^ أي : يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف إيمان ^ ( وليمحص ما في قلوبكم ) ^ من وساوس الشيطان وما تأثر عنها من الصفات غير الحميدة | ^ ( والله عليم بذات الصدور ) ^ أي : بما فيها وما أكنته فافتضى علمه وحكمته أن قدر من الأسباب ما به يظهر مخبات الصدور وسرائر الأمور | ( 155 ) : ^ ( إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم ) ^ يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أحد وما الذي أوجب لهم الفرار وأنه من تسويل الشيطان وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم | فهم الذين أدخلوه على أنفسهم ومكنوه بما فعلوا من المعاصي لأنها مركبه ومدخله

فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان | قال تعالى : ^ ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ) ^ ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذه وإلا فلو آخذهم لاستأصلهم | ^ ( إن ا غفور ) ^ للمذنبين الخطئين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار والمصائب المكفرة ^ ( حلیم ) ^ لا يعاجل من عصاه بل يستأني به ويدعوه إلى الإنابة إليه والإقبال عليه | ثم إن تاب وأناب قبل منه وصيره كأنه لم يجر منه ذنب ولم يصدر عنه عيب فالحمد عل إحسانه | ( 156 - 158 ) ^ ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل ا ذلك حسرة في قلوبهم وا ا يحيي ويميت وا ا بما تعملون بصير \* ولئن قتلتم في سبيل ا أو متم لمغفرة من ا ورحمة خير مما يجمعون \* ولئن متم أو قتلتم لإلى ا ا تحشرون ) ^ ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتشابهوا الكافرين الذين لا يؤمنون بربهم ولا بقضائه وقدره من المنافقين وغيرهم | ينهاهم عن مشابعتهم في كل شيء وفي هذا الأمر الخاص وهو أنهم يقولون لإخوانهم في الدين أو في النسب : ^ ( إذا ضربوا في الأرض ) ^ أي : سافروا للتجارة ^ ( أو كانوا غزى ) ^ أي : غزاة ثم جرى عليهم قتل أو موت يعارضون القدر ويقولون : ^ ( لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ) ^ وهذا كذب منهم فقد قال تعالى : ^ ( قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ) ^ ولكن هذا التكذيب لم يفدهم إلا أن يجعل ا هذا القول وهذه العقيدة حسرة في قلوبهم فتزداد مصيبتهم وأما المؤمنون فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر ا فيؤمنون ويسلمون